أثار القرار الظني بسجن الفنان مارسيل خليفة لمدة ثلاثة اعوام، والصادر بتاريخ ١٩٩٩/١٠/١، ردود فعل طغت على مجمل القضايا الأخرى في البلاد.

ومما لاشك فيه أن الفنان خليفة الخارج عن كل الطوائف والآتي الى المكان الأرحب والأوسع - الانسان - هو لون لبنان الحضاري، وهو الصدى الحقيقي لحرية التعبير والكلمة والأنسان، والذين مثله من الفنانين قلة نادرة.

وإذا كان هذ القرار الظني لا يعتبر اتهاماً نهائياً ومبرماً بل تستتبعه اكثر من مرحلة قانونية قد تؤدي الى أثبات الاتهام أو تبرئة المتهم.

ورغم أن المثقفين والمطّلعين على مجمل الأمور يعرفون ويدركون هذه القضية - قضية القرار الظني - لكنهم استغربوا وانتفضوا نفسياً وفكرياً، فالفنان خليفة لطالما عبّر عن العمال والفقراء وعن المعذبين و"البحرية" وقلوب الناس التي لا تعرف جنسية وحدوداً.. فأصبح بحجم الوطن، إذن، كيف لهذا الوطن ان يدان؟ من دون أن يكون هناك جزم فعلي بأن مارسيل خليفة أساء في أغنيته الى شريعة سماوية؟

وبسرعة لافتة حدثت تحركات على كل المستويات الإعلامية والثقافية والسياسية والشعبية تُوجّت يوم الثلاثاء الماضي بتظاهرة تضامن مع مارسيل لم يسبق أن شهدته نقابة الصحافة اللبنانية، فقبيل توافد الحشد الجماهيري الى دار النقابة تفاعلت قضية صدور هذا القرار بحق الفنان خليفة محققة اجماعاً تضامنياً شمل القطاع الثقافي والسياسي والنقابي تجاوز لبنان الى العالم العربي ولاسيما مصر والمثقفين العرب على امتداد الكرة الأرضية، حيث تكللّت في مواقف استنكار وأدانة لهذا القرار.

موقف الرئيس بري

تصدر هذه المواقف رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي اعتبر أن القرار الظني "صدر بحق كل لبنان"، كما اعتبر العلامة محمد حسين فضل الله القصيدة خالية من أي إساءة لأي كان، فيما دان الحزب التقدمي الاشتراكي وحذّر من خطورة الاعتداء على الحريات العامة، ووصف وزير الاعلام انور الخليل الفنان خليفة بأنه رمز وطني من الرموز التي يفتخر بها لبنان.

كلمة نقيب الصحافة

وألقى نقيب الصحافة محمد البعلبكي كلمة في التجمع الجماهيري الحاشد ويوم ٥ ايلول الفائت، دوّت بين الحاضرين عزّة وثقة، قال فيها: "هو أسمه قرار ظني وأنا استشهد هنا بقول القرآن الكريم "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن.. إن بعض الظن أثم" وأشار الى ان القصيدة المؤداة لحناً وغناءً من مارسيل خليفة تحمل مغزى انسانياً وهي ترمي للاعلان عن مدى معاناة المظلومين امثال سيدنا يوسف، وأن الفنان خليفة ليس أول من غنى القرآن بل سبقه الى ذلك مؤمنون كبار قاموا بتلاوة القرآن بتطريب.

ونحن في "نادين" نذكر الشيخ ابو العلا محمد، الشيخ صالح عبد الحي، عبد الحي حلمي وغيرهم..

كلمة مصر

ولمصر أم الدنيا كلمة لابد أن تقال.. فقدت ثارت هذه القضية في القاهرة كما في لبنان، لذا فإن صوت الدكتورة فتحية العسال نادى من لبنان ليقول بأنه يعلن عن لقاء تضامني آخر مع الفنان خليفة في مصر.

الاعتراض لم يكن فنياً كما كنا ذكرنا في مقدمة الموضوع، ولأنه كان نقابياً سياسياً جماهيرياً عريضاً، فلابد من ذكر بعض من الأسماء التي التقت لمناقشة ردع هذا الأتهام الذي لم يملك ولو خيطاً واحداً من مبررات الإدانة.

من هذه الاسماء النواب بهية الحريري، نسيب لحود، زاهر الخطيب، النائب السابق عبدالله عظيمي، والوزراء والشخصيات المشاركة قلباً وقالباً، وزير العمل ميشال موسى، رئيس الاتحاد العمالي العام الياس ابو رزق، معظم الأحزاب، اعضاء من نقابة المحامين، نقابة الأطباء ووزير الإعلام، المراكز الثقافية، المنظمات الشبابية اللبنانية والعربية، الفنانون المخضرمون الذين ساهموا في بناء وجه لبنان الثقافي والحضاري، الكتّاب والصحافيون اللامعون والمتطلعون الى غد أفضل.

جمهرة لا تعد ولا تحصى وقّع كل فرد منها في ختام هذا اللقاء عريضة تستنكر القرار الظني بحق الفنان مارسيل خليفة، معتبرين أن الصوت الذي حمل هذا الكم من التعبير الإنساني والفكري والحضاري.. يجب أن لا يُحصر في بوتقة الظنّ.

إن ردود الفعل الغاضبة ليست لتتوقف في دارنقابة الصحافة اللبنانية، بل فهي تحرك ثقافي عربي وعالمي واسع جسّده حضور شعبي قادته شخصيات فنية وثقافية وسياسية لامعة حتى قيل من الذي لم يؤيد هذا الرفض؟! وتتويحاً للحدث التظاهرة كان اتصالٌ من الشاعر محمود درويش الذي أعلن عن تحركات أخرى على سعة مثقفي العالم.

تصوير: ندى فارس

مارسيل خليفة هو مرسال الشعب الذي لم يتورّع عن طرح قضاياه بمناسبة الحرية.. في الصورة يافطة رفعها أهالي الأسرى المعتقلين.